سلسلة تفريغات شبكة بينونة

حُرْمَةُ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ

الشيخ حامد بن خميس الخنيبي

قام به فريق التفريغ في شبكة بينونة للعلوم الشرعية
@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net

من هنا باقي التفريغات

بسم الله الرحمن الرحيم

يسرّ شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم تفريغا

لمحاضرة بعنوان

حرمة الفساد في الأرض

للشيخ:

حامد بن خميس الجنيبي

حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُه وَرَسُولُهُ.

وبعد...

فإن الله تعالى لما بعث نبيه محمدًا ﷺ فقد بعثه بمحجة بيضاء، جعل ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وجعل الله ﷻ للصلاح سبيلًا واضحًا، كما جعل ﷻ للفساد سبيلًا واضحًا.

✍**ولما كان الواجب على هذه الأمة** الحذر من مغبة الشرور التي تفسد عليهم أديانهم، وتفسد دنياهم، كان الواجب اتباع السبيل الواضحة التي تركنا عليها نبينا محمد ﷺ، فإنه قد جاء بالهدى ودين الحق، وحذَّر سُبل الضلالة والغواية، وكل صلاحٍ هو في اتباعه ﷺ،وكل فسادٍ فهو في مخالفته.

✡**وإذا تقرر ذلك كان لزامًا معرفة ماهية الفساد ، وكذلك معرفة أنواعه وأسبابه وسُبل الوقاية منه.**

➹**ولقائل أن يقول: فما الفائدة من معرفة الفساد؟ وإنما تُطلب معرفة الصلاح؟**

فيقال: بل معرفة الفساد مطلوبة، فإن في معرفته اتخاذ الحذر من أسبابه، وفي معرفته مهابة مواقعته، وفي معرفته اجتناب كل طريق موصلة إليه.

✍**وقد قال الفاروق عمر** ﷺ: "إنما تُنقض عرى الإسلام إذا نشأ في الإسلام من لم يعرف الجاهلية".

✍**وهو معنى قول حذيفة** ﷺ: "كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن السر مخافة أن يُدركني".

✍**ولهذا يقول تقي الدين ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:** "فالقلب السليم المحمود هو الذي يريد الخير لا الشر، وكمال ذلك بأن يعرف الخير والشر، فأما من لا يعرف الشر فذاك نقص فيه لا يُمدح به". انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

✍**وقديمًا قيل:** "عرفت الشر لا للشر ولكن لتوقِّيه، ومن لم يعرف الخير من الشر يقع فيه".

⇦**فالفساد لغةً:** التلف، والعطب، والاضطراب، والخلل.

⇦**والفساد اصطلاحًا:** هو كل خروج عن نظام الشريعة بشرك أو بدعة أو معصية أو ظلم أو اعتداء.

وربنا جلَّ وعلا إنما أمر بالإصلاح ونهى عن الإفساد، ودلَّ العباد على جميع أنواع الإصلاح، فأرشدهم إلى سبيل اجتناب جميع أنواع الإفساد، ولم يجعل سبحانه الأمر موكولًا إلى الأهواء والآراء بل جعل ذلك من لدن حكيم خبير.

فقال ﷻ محذرًا من اتباع الهوى: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المُؤمِنُون الآية ٧١].

وقال ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحۡنُ مُصۡلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡمُفۡسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشۡعُرُونَ ١٢﴾ [البَقَرَة من الآية ١١ الى الآية ١٢].

⇦**والفساد أنواع:**

فمن الفساد: الفساد في الأرض بمخالفة أمر الله تعالى؛ بالشرك، والبدع، والمعاصي الظاهرة.

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدۡنَٰهُمۡ عَذَابٗا فَوۡقَ ٱلۡعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفۡسِدُونَ ٨٨﴾ [النَّحل الآية ٨٨].

☜**فكان إفسادهم في الأرض بالكفر بالله تعالى، ثم بصدهم عن سبيل الله، فكانوا مفسدين مرتين:**

- مرة بالكفر والشرك.
- ومرة بالدعوة إليه.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وبالجملة فالشرك والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع متبع غير رسول الله هو أعظم الفساد في الأرض، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا أن يكون الله وحده هو المعبود والدعوة له لا لغيره، والطاعة والإتباع لرسوله ليس إلا.

قال: وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع له ولا طاعة، فإن الله أصلح الأرض برسوله ودينه وبالأمر بتوحيده، ونهي عن إفسادها بالشرك به وبمخالفة رسوله.

ومن تدبر أحوال العالم؛ وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلاء وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله.

قال: ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين؛ وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي حق غيره عمومًا وخصوصًا ولا قوة إلا بالله العلي العظيم". انتهى كلامه رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهذا الفساد الذي يكون بالشرك بالله ﷻ، وبمخالفة رسول الله ﷺ بالبدع والمعاصي الظاهرة، هو من أعظم الفساد الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف الآية ٥٦].

وهو من أعظم الفساد الذي قال الله ﷻ فيه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢﴾ [البقرة من الآية ١١ الى الآية ١٢].

ولذلك كان هذا الجانب من أعظم أسباب الضلال عن سبيل الله ﷻ، بل هو من أعظم أسباب المصائب التي تحل بالأمم.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ٣٠﴾[الشورى الآية ٣٠].

وقال الله ﷻ: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ٤١﴾ [الرُّوم الآية ٤١].

⇦ومن أنواع الفساد في الأرض: الفساد في الأرض بالدعوة إلى الباطل والصد عن الحق.

وقد قال الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ٨٨﴾ [النَّحل الآية ٨٨]؛ فهؤلاء قد جمعوا بين الكفر بالله ﷻ والصد عن سبيل الله ﷻ، وكثيرًا ما يقرن الله ﷻ بين الكفر بالله سبحانه وبين الصد عن سبيله؛ لأنهما قرينان في الإفساد في الأرض.

قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ [النِّسَاء الآية ١٦٧].

وقال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ٣٦﴾[الأنفال الآية ٣٦].

ويقول الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ١﴾ [مُحَمَّد الآية ١].

ويقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ٣٢﴾ [مُحَمَّد الآية ٣٢].

وقال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ٣٤﴾ [مُحَمَّد الآية ٣٤].

فالصد عن سبيل الله ﷻ جرم عظيم، بل هو من الفساد في الأرض، والصد عن سبيل الله سبحانه والإبعاد للخلق عن أمر الله ﷻ وعن توحيده وعما أمر به رسوله ﷺ.

⇦ومن أنواع الفساد في الأرض: الفساد في الأرض بالظلم والاعتداء.

ومنه قول الله –تبارك وتعالى–: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ٢٠٥ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ٢٠٦﴾ [البَقَرَة من الآية ٢٠٥ الى الآية ٢٠٦].

فهذا المفسد في الأرض سعى فيها ليُهلك الحرث والنسل، والله ﷻ لا يحب الفساد.

وكم مفترٍ على الله ﷻ وهو ساعٍ في الأرض بالفساد يظن أنه مصلح فيها، حاله كما قال الله – تبارك وتعالى–: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢﴾ [البَقَرَة من الآية ١١ الى الآية ١٢].

ويقول الله ﷻ محذرًا من الفساد في الأرض: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٥١].

وقال الله ﷻ على لسان ملائكته: ﴿قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البَقَرَة الآية ٣٠].

وقال الله سبحانه مبينًا جرم الفساد في الأرض: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المَائِدَة الآية ٦٤].

فالله ﷻ قد تكفل بكبت كل مفسد في الأرض.

وقال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأَعْرَاف الآية ٥٦].

أي بعد إصلاحها بتوحيد الله ﷻ، وبعث الرسل الذين أرسلهم الله ﷻ؛ بالدعوة إلى توحيده وإلى شريعته ﷻ، والإيمان به، والكفر بالطاغوت، والكفر بما يُشرك بالله ﷻ، فكل من سعى في غير ذلك فقد سعى في الإفساد في الأرض.

⇦وهذا الإفساد الذي يكون بالظلم والاعتداء، إنما يكون عن أحد سببين:

- إما أن يكون ناتجًا عن سوء نفس.
- وإما أن يكون ناتجًا عن سوء اعتقاد.

فالأول وهو الناتج عن سوء النفس: فهو الظلم الذي يكون لأجل شهوة، يريد بها الإنسان حظ نفسه، والانتصار لها، والعمل على إكسبها حظوظها من مطالبها ومآربها التي تكون لها في هذه الحياة الدنيا، وهذا كثيرٌ في حال العالم الذين يرون دفع كل ما يضرهم أو ينغص عليهم محابهم، ولذة معايشهم فيما يرونه من راحتها وأنسها ولو كان ذلك مخالفًا لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ.

⇦**وأما الظلم الناتج عن سوء الاعتقاد**: هو الأقبح والأشر الذي يكون عن عقيدة فاسدة:

- إما في الله ﷻ.
- أو في رسوله ﷺ.
- أو في شريعته التي شرعها ﷻ.

فكثير من الخلق إنما نشأ فساده عن سوء اعتقاد منه بالله ﷻ أو برسوله ﷺ أو بشريعته.

⇦**فمن ذلك الفساد**:

➢ **فساد اعتقاد المشركين** الذين أشركوا بالله ﷻ، ودعوا إلى غير توحيد الله ﷻ، فاتخذوا أندادًا من دون الله يحبونهم كحب الله، واتخذوا من دون الله ﷻ آلهة يُعبدون.

➢ **وكذلك فسادهم في** اعتقادهم في رسول الله ﷺ كما حصل في كثير من الديانات كحال اليهود والنصارى وغيرهم ممن كفر بالله ﷻ، وكفر برسول الله ﷺ، وفرّق بين رسل الله ﷻ.

⇦**وأما الفساد الناتج عن سوء الاعتقاد في شريعة الرسول ﷺ فهو** الحاصل في كثير من أصناف البشر؛ كالحاصل من حال أهل البدع، وأهل الضلالة، وكذلك الحاصل في الخوارج الذين؛ سفكوا الدماء، واستحلوا الأموال والأعراض، وانتهكوا حرمات الله ﷻ فحصل منهم الفساد والإفساد في الأرض الذي نهى الله ﷻ عنه.

ولا يزال كثير من الخلق إنما يكون حظهم ورغبتهم في الإفساد طلبًا للعلو في الأرض، كما قال الله ﷻ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ٨٣﴾ [القَصَص الآية ٨٣].

فالعلو في الأرض، وطلب الإفساد؛ مخالف لسبيل المتقين الذين جعل الله ﷻ العاقبة لهم، والذين أمر الله ﷻ بسلوك سبيلهم وترك سبيل غيرهم.

قال الله ﷻ في كتابه: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ١٥٢﴾ [الشُّعَرَاء من الآية ١٥١ الى الآية ١٥٢].

وسبيل المفسدين هي كل سبيل خالفت أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، وهذا أمر قلَّ ما ينتبه إليه كثير من الخلق؛ وهو النظر في أن كل مخالفة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ إنما هي ضرب من الفساد في الأرض، والإفساد في الأرض.

ثم تأمل في قول الله ﷻ: ﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾.

فانظر هنا الناتج عن هذا الاتباع للهوى الذي يحصل به فساد السماوات والأرض وفساد من فيهن، فهذا من أعظم الدلائل على شر هذا الأمر، وعلى ما يحصل لأجل اتباع الهوى؛ فاتباع الهوى من أعظم أسباب الإفساد في الأرض، ولذلك يقول الله ﷻ: ﴿بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١﴾ [المُؤمِنُون الآية ٧١].

أي أتيناهم بما فيه الذكر لهم والعز والشرف والمنزلة والرفعة؛ وهو كتاب الله ﷻ، وهذه الشريعة التي جاء بها رسول الله ﷺ، ولكنهم أعرضوا عنها.

ولما كان هذا الشرع داعيًا إلى الإصلاح؛ كان كل من سعى في الدعوة إلى سبيل الإصلاح ناهيًا عن الفساد مجتنبًا لسبيل المفسدين.

يقول الله ﷻ: ﴿فَلَوۡلَا كَانَ مِنَ ٱلۡقُرُونِ مِن قَبۡلِكُمۡ أُوْلُواْ بَقِيَّةٖ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡفَسَادِ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا قَلِيلٗا مِّمَّنۡ أَنجَيۡنَا مِنۡهُمۡۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهۡلِكَ ٱلۡقُرَىٰ بِظُلۡمٖ وَأَهۡلُهَا مُصۡلِحُونَ ١١٧ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَا يَزَالُونَ مُخۡتَلِفِينَ ١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمۡۗ﴾ [هُود من الآية ١١٦ الى الآية ١١٩] الآيات.

فذكر الله ﷻ في هذه الآيات: أن الذين ينهون عن الفساد في الأرض هم الذين أنجاهم الله ﷻ، وهو دال بمعنى الموافقة أن الدعوة إلى الإصلاح سبيل للنجاة، وأن القليل هم الداعون إلى الإصلاح، وأن اتباع الظلم بترك الدعوة إلى شرع الله ﷻ وترك الإصلاح يكون سبيل المجرمين، وهو في قول الله ﷻ: ﴿وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتۡرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجۡرِمِينَ ١١٦﴾ [هُود الآية ١١٦].

ثم أوضح الله ﷻ أن من أعظم أسباب الحفظ للخلق وللأرض: هو في أن يكونوا من المصلحين.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ١١٧﴾ [هُود الآية ١١٧].

فهذا من أعظم أسباب حفظ الخلق.

ومما يتعيّن ذكره: أن الفساد مخالفٌ للفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها.

فالفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها: هي توحيده ﷻ، وشرعه ﷻ الذي أمر الله ﷻ به.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف من الآية ١٧٢ الى الآية ١٧٣].

ويقول النبي ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ»[1].

فهذه الفطرة هي التي فطر الله ﷻ عليها الخلق، والتي أمر الله ﷻ الخلق بالمحافظة عليها وعدم مخالفتها، فإنها الأصل الذي خلق الله ﷻ الخلق عليه، ثم إن الفساد مخالف للشريعة، وقد مرّ في ذلك الآيات والأحاديث التي توضح هذا المعنى.

⇦وأسباب حصول الفساد في الأرض أمران أو سببان:

أما الأول: فهو الشهوة.

وأما الثاني: فهو الشبهة.

وكل فساد في الأرض إنما يكون سببه إما شهوة أو شبهة.

فالشهوة تقود صاحبها إلى اتباع الهوى، وحظوظ النفس ورغباتها وملذاتها، ولو ترتب على ذلك فقدان حظ من الدين.

بل لا شك ولا ريب عند العقلاء أن يكون في ذلك فقدان لحظ من الدنيا، فليس ثَمَّ من معصية إلا وهي تورث فقد حظ من الدنيا، واتباع الهوى واتباع الشهوة هو من أعظم ما يقود الخلق في ذلك.

---

(١) - أخرجه البخاري (١٣٥٨) ومسلم (٢٦٥٨).

وأما اتباع الشبهة التي تكون عن سوء فهمٍ بالحق، أو بظنٍ بأن الحق على خلاف مراد الله ﷻ أو مراد رسوله ﷺ، أو أن الحق لم يكن على الوجه الذي فهمه هذا العامل فيترتب على ذلك الشرور العظام.

وتأمل ذلك في حال الخوارج الذين فارقوا جماعة المسلمين، وانتهكوا حرمات الله ﷻ، وقتلوا النساء والأطفال والرجال والشيوخ، بل انتهكوا البلد الحرام، وانتهكوا مساجد الله ﷻ، وكل ذلك إنما حصل بشبهة قد ركبها كثير منهم بل كلهم.

وهو معنى قول عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيهم: "انطلقوا إلى آيات نزلت في المشركين، فجعلوها في المسلمين".

ولذلك يقول رسول الله ﷺ فيهم: «قَوْمٌ حُدَثَاءُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ»[1].

فهم صغار في السن، جهلاء أو أصحاب جهل في العلم.

والشبهة إنما تحصل عن:

- سوء قصد.
- أو قلة علم.

وسوء القصد هو نوع من الشهوة السائقة للعبد إلى تلك المخالفة لأمر الله ﷻ.

فترى أن الرجل يبحث عن ما يوافق هواه من الدين، ويُفتش في ذلك انتصارًا لمذهبه.

والفساد له مظاهر على الفرد، وله مظاهر على المجتمعات.

فمن مظاهر الفساد على الفرد: حصول المخالفة لأمر الله ﷻ إما بالانحراف عن الاعتقاد الذي أمر الله ﷻ به، أو الاتباع الذي أمر الله ﷻ به.

وتأمل في حال فرعون الذي قال: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ [النَّازِعَات الآية ٢٤].

وقد قال الله ﷻ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤﴾ [النَّمل الآية ١٤].

---

(١) - أخرجه البخاري (٣٦١١) ومسلم (١٠٦٦).

وقال الله ﷻ فيه: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ٤﴾ [القَصَص الآية ٤].

❍ومن مظاهر الفساد على الفرد: ترك العمل الصالح.

قال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ١٢﴾ [البَقَرَة من الآية ١١ الى الآية ١٢].

❍ومن مظاهر الفساد على الفرد: ترك الأمر بشرع الله ﷻ؛ ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

كما قال الله ﷻ: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦﴾ [هُود الآية ١١٦].

✡وكذلك الفساد له عاقبة على المجتمع.

❍فمن مظاهر الفساد في المجتمع: ما قاله الله ﷻ في كتابه الآية التي مرّت معنا: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ ١١٦﴾ [هُود الآية ١١٦].

ثم قال الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هُود الآية ١١٧].

❍ومن مظاهر الفساد على المجتمعات: أن الفساد سبب لانتشار الرذيلة، وسبب لانتشار الفاحشة، وانتشار السرقات، وانتهاك الأموال، وغير ذلك من المعاصي الظاهرة؛ والتي منها أيضًا قطع الأرحام.

قال الله ﷻ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ ٢٢﴾ [مُحَمَّد الآية ٢٢].

ويقول الله ﷻ في كتابه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ ۚ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ ۚ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرَّعْد الآية ٢٥].

ويقول الله ﷻ في كتابه الكريم في بيان أن السرقة نوع من الفساد على لسان أخوة يوسف: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَٰرِقِينَ ٧٣﴾ [يُوسُف الآية ٧٣].

ويقول الله ﷻ في انتهاك الأعراض على لسان لوط عليه السلام: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ٢٩ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ٣٠﴾ [العَنكَبُوت من الآية ٢٩ الى الآية ٣٠].

من مظاهر الفساد على المجتمعات: سفك الدماء، وذهاب الأمن.

قال الله ﷻ: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾.

وقال الله ﷻ: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ٦٤﴾ [المَائِدَة الآية ٦٤].

وقال الله ﷻ على لسان ملائكته: ﴿قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ٣٠﴾ [البَقَرَة الآية ٣٠].

فهذه بعض مظاهر الفساد في الأرض على الفرد وعلى المجتمعات.

☼وهنا تذكير:

التذكير الأول: هو في الواجب على ولاة الأمر تجاه المفسدين في الأرض.

فإن الله ﷻ قد أقام لولاة الأمر شرعه ودينه، وأمّن بهم السُبل، وأقام العدل، وأذهب الظلم، وبهم يحصل الأمن والأمان، واستقرار بلاد الإسلام، وعزتها، وقوتها، ومناعتها بعد معونة الله ﷻ.

والواجب على ولاة الأمر: الأخذ بيد كل مفسد، والرد له عن مخالفته لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، وهذا من أعظم الحقوق التي أوجبها الله ﷻ على ولاة الأمر تجاه عموم الناس؛ فإنهم يقومون بحراسة الدين، وبحفظ الدين، وتنفيذ الأحكام الشرعية التي أمر الله ﷻ، وإقامة الحدود التي بها تصان محارم الله ﷻ، وإقامة الجهاد الذي به تُحمى بيضة الإسلام وبلاد الإسلام.

ومن ذلك: قيامهم بحق الله ﷻ الذي أوجبه تجاه كل مفسدٍ يسعى في الأرض فسادًا.

وأما التذكير الثاني: فهو الواجب على العلماء تجاه المفسدين في الأرض.

فالعلماء يجب عليهم أن يُبينوا للناس دين الله ﷻ وشرعه، وأن يُحذروهم من كل مخالفة لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ، فهم الذين تُضاء بهم السُبل الموصلة إلى مرضاة الله ﷻ، وهم القدوات النافعة التي يأتسي بها الناس.

فإن الواجب عليهم؛ أعني العلماء: أن يأمروا بالمعروف، وأن ينهوا عن المنكر.

وهذا الواجب على العلماء واجبٌ على كل من كان له حظ من العلم الشرعي؛ فيدعون إلى إصلاح العقائد، ويدعون إلى إصلاح الأخلاق، ويدعون إلى إصلاح المجتمعات.

وأعظم ما يكون فيه ذلك الصلاح؛ الصلاح الذي يكون في توحيد الله ﷻ، وفي الاعتقاد الصحيح الذي أمر الله ﷻ به.

وليحذروا أن يكونوا كما قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾[البَقَرَة الآية ١٥٩].

وأما التذكير الثالث: فهو الواجب على المسلمين عمومًا تجاه المفسدين في الأرض.

فإنه يجب على كل مسلم أن يدفع كل مفسدٍ عن فساده، وقد قال النبي ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا»[1] فيردون كل من حاد عن الطريق.

ولهم السبيل في ذلك؛ في الاستعانة، وولاة الأمر، والقضاة، والعلماء، وكل من عيّنه ولي الأمر على ولاية يكون سببًا في دفع هذا الفساد.

وليتذكروا أن النبي ﷺ قد أوصى عموم الصحابة –رضي الله عنهم– فقال: «أَلاَ إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ – ثَلاَثًا –»[2].

---

(١) – أخرجه البخاري (٢٤٤٣).

(٢) – أخرجه البخاري (٦٧).

ولا تأخذ المسلم اللإمَة ولا الحرج في تبليغ المعنين من الجهات، في بلاد الإسلام الذين يقومون بحفظ الأمن والأمان، وخصوصًا فيمن يسعى في تفريق كلمة المسلمين، وفيمن يسعى في شق العصا عن ولي الأمر، وتوهين صورته؛ فإن هذا من محاربة الله –تعالى– ومحاربة رسوله ﷺ، الذي أُمر المسلم بمحاربته.

والله ﷻ يقول في كتابه: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المَائِدَة الآية ٣٣].

فلا تأخذ المسلم اللإمَة فيمن ينتهك الدماء، ويسفك الدماء، ويسعى في إهلاك الحرث والنسل، وظلم الناس، واستحلال الفروج والأعراض، فإن هذا منكرٌ في ذاته أعني السكوت عن أمثال هؤلاء الذين يُفسدون في الأرض، ويسعون في الأرض فسادًا.

أسأل الله ﷻ أن يحفظنا وإياكم وبلاد الإسلام، ويحفظ ولاة أمرنا، ويُمكنهم من كل مفسد يسعى في الإفساد في الأرض، وأنه يوفقهم لما يحب ويرضى إنه ﷻ ولي ذلك.

والله أعلى وأعلم.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋ ❋

حسابات شبكة بينونة للعلوم الشرعية

ليصلكم جديد شبكة بينونة, يسعدنا أن نتواصل على المواقع التالية:

① 【 تويتر Twitter 】

https://twitter.com/BaynoonaNet

② 【 تيليجرام Telegram 】

https://telegram.me/baynoonanet

③ 【 فيسبوك Facebook 】

https://m.facebook.com/baynoonanetuae/

④ 【 انستقرام Instagram 】

https://instagram.com/baynoonanet

⑤ 【 واتساب WhatsApp 】

احفظ الرقم التالي في هاتفك

☏ https://api.whatsapp.com/send?phone=٩٧١٥٥٥٤٠٩١٩١

أرسل كلمة "اشتراك"

تنبيه في حال عدم حفظ الرقم لديك

((لن تتمكن من استقبال الرسائل))

⑥ 【 تطبيق الإذاعة 】

لأجهزة الأيفون

https://appsto.re/sa/gpi٥eb.i

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/nJrA٩j

⑦ 【 يوتيوب Youtube 】

https://www.youtube.com/c/BaynoonanetUAE

⑧ 【 تمبلر Tumblr 】

https://baynoonanet.tumblr.com/

⑨ 【 بلوجر Blogger 】

https://baynoonanet.blogspot.com/

⑩ 【 فليكر Flickr 】

https://www.flickr.com/photos/baynoonanet/

⑪ 【 لعبة كنوز العلم 】

لأجهزة الأيفون

https://goo.gl/Q٨M٧A٨

لأجهزة الأندرويد

https://goo.gl/vHJbem

【 في كي Vk 】

https://vk.com/baynoonanet

【 لينكدان Linkedin 】
https://www.linkedin.com/in/٦٦٩٣٩٢١٧١-شبكة-بينونة-للعلوم-الشرعية
【 ريديت Reddit 】
https://www.reddit.com/user/Baynoonanet
【 تشينو chaino 】
https://www.chaino.com/profile?id=٥ba٣٣e٠c٧٧٢b٢٣d٥bb٧daf٠a
【 بنترست Pinterest 】
https://www.pinterest.com/baynoonanet/
【 سناب شات Snapcha 】
https://www.snapchat.com/add/baynoonanet
【 تطبيق المكتبة 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/٣٣uUnQr
لأجهزة الأندرويد
https://goo.gl/WNbvqL
【 تطبيق الموقع 】
لأجهزة الأيفون
https://apple.co/٢Zvk٨OS
لأجهزة الأندرويد
https://bit.ly/٣fFoxWe
【 البريد الإلكتروني 】
info@baynoona.net
【 الموقع الرسمي 】
http://www.baynoona.net/ar/

حقوق الطبع محفوظة

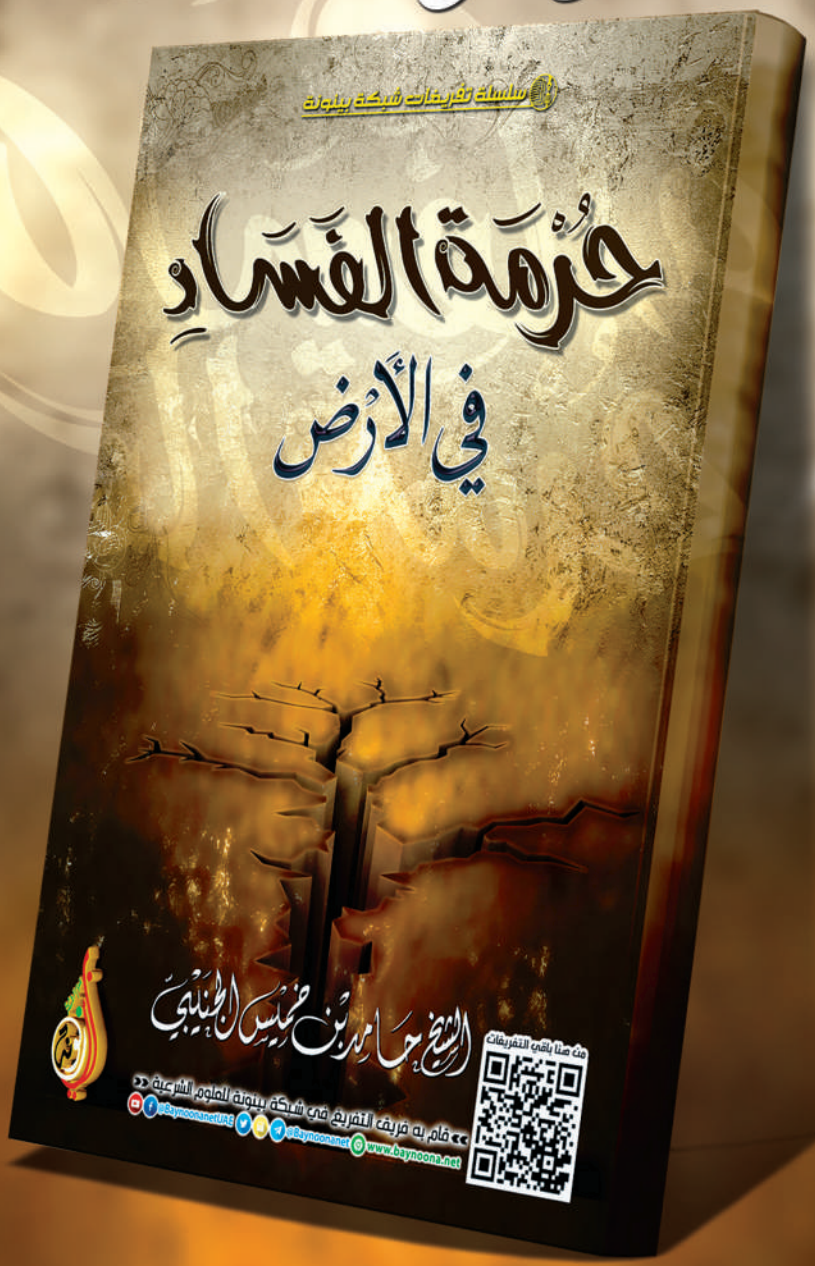

شبكة بينونة العلوم الشرعية